

شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - (١٧٠٣-١٧٦٢م):

**حياته وإسهاماته الفكرية للعالم الإسلامي
(تقرير خاص عن ندوة عقدت في ماليزيا مؤخراً)**

أحمد إبراهيم أبوشوك

قام قسم التاريخ والحضارة بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعقد "ندوة علمية عن: العالم الرباني المجدد الإمام شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - (١٧٠٣ - ١٧٦٢م): حياته وإسهاماته الفكرية للعالم الإسلامي". في يوم الثلاثاء ٢٣ ذي الحجة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٥ فبراير ٢٠٠٣م.

جاءت هذه "الندوة" تجسيدا لاهتمام الجامعة الدائم والمستمر بدراسة التراث الفكري لعلماء الأمة الإسلامية ومصلحيها الذين انطلقوا من آفاق المعرفة القرآنية المتنوعة والسنة الزاهرة بالتجارب والعبر والإرشادات. ليعالجوا الانحرافات الفكرية التي كانت ولا تزال تعانيها الأمة. وذلك من خلال منهج يجمع بين القراءتين: قراءة تقوم على التبصّر الواعي والفهم الشامل للقرآن والرسالة المحمدية الخاتمة. وأخرى تهدف إلى فهم العلاقة الجدلية بين قيم الوحي الهادية إلى الصراط المستقيم. وجزئيات الكون المسخرة لخدمة البشرية. ودور الإنسان المستخلف على أديم الأرض. وقد شملت الحلقات العلمية السابقة التي أعدت في هذا الشأن: دراسة لسيرة العلامة محمد إقبال - رحمه الله - (١٨٧٧ - ١٩٣٨م) وإسهاماته الفكرية. وأخرى: لحياة المفكر الجزائري المعاصر مالك بن نبي - رحمه الله - (١٩٠٥ - ١٩٧٣م) وآثاره العلمية. وعلى ذات النسق انعقدت ندوة حول العالم المجدد الإمام شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - التي حاولت أن توثق طرفاً من تراثه الفكري وتضع بعض المؤشرات للاستفادة منه في مواجهة مشكلات واقع الأمة الإسلامية المعاصر.

وقد شملت الندوة ثلاث جلسات عمل. إضافة إلى جلسة افتتاحية وأخرى ختامية. وحضر فعاليات هذه الندوة لغير من أعضاء هيئة التدريس والدراسين في الجامعة الإسلامية. كما استضاف قسم التاريخ والحضارة. المنظم للندوة. بعض الأساتذة في الجامعات الماليزية الأخرى. ونخبة من العلماء المتخصصين والمهتمين بدراسات حركات التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي.

وقد قام بافتتاح الندوة السيد مدير الجامعة الأستاذ الدكتور محمد كمال حسن. وذلك بإلقاء كلمة رئيسية نوّه فيها إلى أهمية دراسة سير أعلام الفكر الإسلامي والاستفادة من آثارهم العلمية وتجاربهم في تجاوز حالة التفطر والتشطي التي يعيشها الفكر الإسلامي بين دعاة "اليسار الإسلامي" الذي يتزعمه الدكتور حسن حنفي. ودعاة الإسلام. "البروتستانتية". أي المستأنس بتعاليم مارتن لوتر. الذي يتبنّاه الدكتور عبد الله النعيم وأمثاله - إضافة إلى دعاة "التوجه الليبرالي الإسلامي". وأشار السيد المدير إلى أن حالة هذا التنازع الفكري لا يمكن تجاوزها إلا بالاستفادة من أفكار بعض المفكرين الإسلاميين الذين وضعوا مناهجهم الإصلاحية في بيئة مفعمة بقيم الوحي (القرآن والسنة). ثم حاولوا أن يجمعوا بين النزعات الفكرية المختلفة مثل محاولة الإمام ولي الله الدهلوي - رحمه الله - بالتوفيق بين تصوّرات وحدة الوجود ووحدة الشهود كوعاء معرفي للوقوف على خصائص رسالة الإسلام وبُعدها العلمي المرتبط بالقرآن بوصفه الكتاب السماوي الذي يتميز عن الكتب السماوية الأخرى بخاتمته وتعاليمه الصالحة لكل زمان ومكان. وفي هذا النسق أشاد السيد المدير بالدور الفكري والإصلاحي الذي تصدى له العلامة المجدّد شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله -، وأوضح أن النجاح أو الخسران الذي تعرّضت له أفكاره وبرامجه الإصلاحية في محيط التطبيق يجب أن يقيّم من خلال نظرة قرآنية فاحصة. وبعد ذلك ثمن الأثر الطيب الذي تركته تعاليم شاه ولي الله - رحمه الله - الإصلاحية في إندونيسيا وماليزيا، وأشاد على وجه الخصوص بالدور الذي تقوم به أسرة الحاج نيك حسن في كلنتان وذلك من خلال اهتمامها الجَم بتدريس أدبيات شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - وعلى وجه التحديد سفره الرائد الموسوم ب: حجة الله البالغة، باعتباره نبزاً في العبادات والمعاملات والفكر الإسلامي الكوني بوجه عام.

وبعد هذه الكلمة الافتتاحية بدأت الجلسة الأولى التي ترأسها الأستاذ المشارك الدكتور محسن محمد صالح رئيس قسم التاريخ والحضارة. وقد تضمّنت الجلسة ثلاث أوراق عمل. وقدم الورقة الأولى ضيف الندوة الأستاذ الدكتور محمد الغزالي. أستاذ بمجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، وكانت ورقته بعنوان: شاه ولي الله وإسهامه في الفكر الإسلامي في شبه

القارة. وقد أشاد الأستاذ الغزالي في هذه الورقة بإسهامات الإمام الدهلوي - رحمه الله - في مجر -
التثقيف والوعي الديني والتطور الفكري للمجتمع الإسلامي الهندي، ثم حصر إسهامات الإمام المجدد
في ستة محاور. أولاً: العودة إلى الإسلام النقي وذلك عن طريق إحياء روابط الثقافة العلمي القائمة
على الكتاب والسنة. وترجمة القرآن إلى الفارسية باعتبارها أداة فاعلة في ترسيخ قيم الوحي بين
قطاعات المجتمع المختلفة في شبه القارة الهندية. ثانياً: تطوير الدراسات الحديثة وفق منهج يزوج
بين مفردات السنة المختلفة بعيداً عن النظرة التجزيئية الأحادية، ويؤسس لقراءة مقاصدية قائمة على
ما سماه ب: علم أسرار الدين". ثالثاً: الاهتمام بالفهم الشمولي للإسلام وذلك من خلال منظومة
متكاملة توازن بين النظرة الروحية والنظرة العقلانية لفهم أدبيات التراث الإسلامي وتتجاوز آثار
الخصومة الفكرية القائمة بين الذين ينعنون بأنهم تقليديون وأولئك الذي يوصفون بأنهم عقلاونيون.
رابعاً: معالجة المشكلات التي يواجهها المجتمع من خلال قراءة مقاصدية تربط الواقع المعيش بالقيم
التوجيهية الموجودة في أدبيات التراث الإسلامي. خامساً: الربط بين النص الديني وطبائع العمران
البشري وذلك من خلال مدخل مقاصدي تؤسس مفرداته على آلية (Dynamism) الاجتهاد المتفاعل مع
أوضاع الاجتماع البشري عبر الزمان والمكان، والمتسلح بالنص الديني (القرآن والسنة) الذي يتسم بقدرة
اكتنازية فائقة تؤهله لاستيعاب متغيرات الاجتماع البشري. سادساً: الدعوة إلى ضرورة فتح قنوات
للتواصل بين المسلمين وغير المسلمين عبر آليات تؤسس على منهج جديد لعلم الكلام المبني على
الخطاب القرآني الإنساني.

وقدم الورقة الثانية الأستاذ نيك عبد العزيز بن نيك حسن، وكانت بعنوان: علاقة مدرسة
(أو طريقة) شاه ولي الله الدهلوي بالمجتمع الماليزي المعاصر وأهميتها له. و أوضح الأستاذ نيك
عبد العزيز أن تعاليم الإمام شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - قد وصلت إلى ماليزيا عن طريق الحاج
نيك عبد الله بن نيك حسن وان موسى (١٩٠٠ - ١٩٣٤م) الذي درس على مولانا عبيد الله السندي -
رحمه الله - الذي يعدّ من أُمير العلماء المتبحرين في تعاليم شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - . ثم
أبان أن تلاميذ الحاج نيك عبد الله صاروا يعرفون بأتباع الطريقة الدهلوية التي وجدت تعاليمها رواجاً
في ولايتي كلنتان وترنجانو وبعض المناطق الماليزية الأخرى. وأكد الأستاذ نيك عبد العزيز على
صلاحية تطبيق تعاليم شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - في أي مجتمع متعدّد الجنسيات ومتباين
الثقافات لأنها تقوم على منهج متكامل للحياة يمكن من خلاله التوفيق بين المدارس الفكرية المختلفة
ويؤسس خطابه على مناهج الطرق الصوفية القائمة على التسامح الديني والإحسان وتركيزية النفس.

وقدم الورقة الثالثة الأستاذ الدكتور جميل فاروقي . أستاذ بقسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا . وكانت بعنوان : الفكر الاجتماعي عند شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - ودارت مناقشة هذه الورقة حول مفهوم الارتفاقات الأربعة الذي فصله شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - في كتاب حجة الله البالغة وذلك من خلال قراءة تحليلية اجتماعية . وكانت قضية الارتفاقات هذه من أكثر القضايا التي أثارَت جدلا خلال أعمال الندوة . لأن الباحثين اختلفوا حول معناها الاصطلاحي وماهيتها الوظيفية . ويقصد شاه ولي الله بالارتفاق الأول : حياة أهل البادية القائمة على الكسب الضروري . وبالارتفاق الثاني : حياة أهل الحضرة والقرى العامرة التي يستوجب واقع الحال أن يكون أهلها على خلق فاضلة اكتسبوها عن طريق الممارسة والتجارب التي مرت بهم . وبالارتفاق الثالث هو يقصد : "... إقامة ملك يقضي على الصراعات والمنازعات التي تحدث بين الناس بالعدل . ويزجر عاصيهم . ويقاوم جريئهم . ويجبي منهم الخراج . ويصرفه في مصرفه " . أما الارتفاق الرابع : فيكون الصراع فيه بين ملوك المدن المختلفة الذين تدفعهم متطلبات الحياة المدنية إلى إقامة الخلافة الكبرى والانقياد للخليفة صاحب الشوكة والمنعة .

أما الجلسة الثانية فقد ترأسها الأستاذ الدكتور عبد الله الأحسن . من قسم التاريخ والحضارة . وقد تضمنت ثلاث أوراق عمل . قدم الورقة الأولى الأستاذ المشارك الدكتور أرشد إسلام . من قسم التاريخ والحضارة . وكانت بعنوان : شاه ولي الله الدهلوي : حياته وأعماله . تحدث الدكتور أرشد في هذه الورقة عن حياة الإمام أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين الفاروقي الدهلوي (المعروف بشاه ولي الله) . وتطرق إلى أن نشأته كانت في بيت علم أسست قواعده على المعارف الصوفية والعلوم الشرعية . كما ذاعت شهرته في مجال التعليم والدعوة والتبليغ . وفي هذه الأسرة النقشبندية - كما ذكر الدكتور أرشد - ولد شاه ولي الله . ولازم منذ صغره دروس والده وعدد من العلماء المشاهير في الفقه والتفسير وعلوم القرآن . وأخيرا سافر إلى الحرمين الشريفين حيث حصل على الإجازة العالمية من علماء الحرمين . ثم عاد إلى وطنه الأم حيث عمل معلما في المدرسة الرحيمية التي أنشأها والده الشاه عبد الرحيم إلى أن توفاه الله عام ١٧٦٢م . وبعد هذه الترجمة قدم الدكتور أرشد قائمة حصرية شملت معظم مؤلفات الدهلوي التي تجاوز كمها الأربعين مؤلفا في مختلف ضروب العلوم الإسلامية . ونذكر منها : حجة الله البالغة . و البدور البازغة . و فيوض الحرمين . و التفهيمات الإلهية . و القول الجميل في بيان سواء السبيل . و الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد .

وقدم الورقة الثانية الأستاذ الدكتور حسن أحمد إبراهيم. نائب العميد للدراسات العليا. كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية. وكانت بعنوان: محمد بن عبد الوهاب وشاه ولي الله الدهلوي: دراسة مقارنة عن حياتهما وسيرتهما. وقد استهلها بفرضية تقضي بأن الاختلاف في كسب الشيخين وعطائهما قد شكلته البواعث التالية: ١- التباين البيئي - الجغرافي بين موطن الشيخ في الجزيرة العربية ذات المناخ الصحراوي الجاف والتركيبية السكانية المتجانسة وموطن الشاه في شبه القارة الهندية ذات المناخ المداري والتركيبية السكانية المتنوعة. ٢- التباين المعرفي في كسبهما العلمي. حيث تلقى الشيخ علومه الشرعية في وسط تغلب عليه أدبيات السلف المتأثرة بمذهب الشيخ أحمد بن حنبل والإمام بن تيمية - رحمهما الله تعالى -. وأما الشاه فقد كان منفتحاً على كل المذاهب الفقهية. ومتأثراً بتعاليم الطرق الصوفية التي ينتمي إليها روحاً ويتسلح بتعاليمها في إطار المنظومة الشرعية وبأدبيات مجدد الألفية الثانية الشيخ أحمد سرهندي - رحمه الله تعالى- (١٥٦٤-١٦٢٤م). ٣- التباين في التأهيل الشخصي. حيث أن الشيخ كان يتواصل بلغة القرآن وحسب. ولكن الشاه كان مجيداً لأكثر من لغة بما فيها اللغة العربية والفارسية. وحصيلة هذا التباين. من وجهة نظر الأستاذ حسن. قد انعكست في عطاء كل من الشيخ والشاه. حيث حصر الشيخ دعوته في الإصلاح العقائدي ومحاربة البدع والخرافات التي صنفها خارج المنظومة الشرعية. وأما الشاه فإنه حاول أن يزاوج بين علمي الحقيقة والشرعية. وتصدى لكثير من المشكلات الفكرية والاجتماعية والثقافية التي كانت تواجه المسلمين في شبه القارة الهندية.

وقدم الورقة الثالثة الأستاذ محمد طاهر الميساوي. قسم الفقه وأصول الفقه. وكانت بعنوان: قضية الفطرة: مقارنة تحليلية لوجهات نظر شاه ولي الله ومحمد الطاهر بن عاشور حول الطبيعة الإنسانية. أسس الأستاذ الميساوي مقارنته وفق نظرة تحليلية لمفهوم الفطرة عند شاه ولي الله الدهلوي وابن عاشور (١٨٧٩-١٩٧٣م) وذلك في ضوء فهمها للنص الاصطلاحي الوارد في القرآن وعلاقته بالإسلام باعتباره دين الفطرة أو الطبيعة الإنسانية. وانطلق الميساوي في هذا الشأن من فرضية مؤداها أن كلاً من الشيخين قد قدما إسهاماً أصيلاً لاستيعاب المفهوم القرآني المحوري للفطرة باعتباره مصطلحاً إسلامياً للطبيعة الإنسانية. وأبلغ من ذلك أنهما قد أسهما في توضيح العلاقة بين التعاليم الإسلامية والطبيعة. وأضاف الميساوي بعداً آخر لهذه المقارنة بتحليله للتعقيدات المنهجية والمعرفية التي ارتبطت بتفسيرات الدهلوي وابن عاشور لمصالح الفطرة وكيفية توطينه في أوعية الشرع الإسلامية.

أما الجلسة الثالثة والأخيرة فقد ترأسها الأستاذ المشارك الدكتور أحمد إبراهيم أبو شوك. قسم التاريخ والحضارة. وتضمنت ثلاث أوراق عمل. قدم الورقة الأولى الأستاذ الدكتور عبد الله الأحسن. وكانت بعنوان: ارتقاء الحضارة من منظور شاه ولي الله. وجاءت هذه الورقة مطابقة في بعض جزئياتها مع الورقة التي قدمها الأستاذ جميل فاروقي حول مفهوم الارتفاقات الأربعة ودوره في البناء الحضاري (انظر الجلسة الأولى). وناقش الأستاذ الأحسن من زاوية أخرى دور الدين في بناء الحضارات. وتوصل إلى أن الدين له وضع محوري في تأسيس أية حضارة إنسانية. واستشهد في ذلك بالحضارتين الإسلامية والغربية بحجة أن بداياتهما كانت معلومة وموثقة وذلك بخلاف الحضارات الأخرى.

وقدم الورقة الثانية الأستاذ المساعد عبد السلام محمد شكري، قسم أصول الدين ومقارنة الأديان. وكانت بعنوان: شاه ولي الله والخبر. وقد أوضح الدكتور شكري في ورقته أن علم الحديث كان واحدا من اهتمامات شاه ولي الله الدهلوي. حيث خصص له جزءا مقدرا في كتابه حجة الله البالغة وأشاد بأهميته في فهم مقاصد الشرع وإصلاح حال المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية وبقية أجزاء العالم الإسلامي. وعضد ذلك مستأنسا بقول شاه ولي الله في مقدمة حجة الله البالغة: "إن عمدة العلوم اليقينية ورأسها هو علم الحديث الذي يُذكر فيه ما صدر عن أفضل المرسلين - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وأصحابه أجمعين: من قول. أو فعل. أو تقرير". وبهذه الكيفية يرى الدكتور شكري أن شاه ولي الله - رحمه الله - قد حاول أن يؤسس أحكامه الشرعية وفتاويه على هدي القرآن والسنة التشريعية وفق قراءة تجمع بين فنون علمي القرآن والحديث و "علم أسرار الدين". ومن هذه الزاوية حلّل الدكتور شكري أبعاد دعوة شاه ولي الله - رحمه الله - القاضية بفتح باب الاجتهاد ورفض التقليد الأعمى للمذاهب الشرعية إذا كانت أحكامها وتعاليمها لاتستند إلى محكمات القرآن وتوجيهات السنة التشريعية.

وقدم الورقة الثالثة والأخيرة الأستاذ أزهري الدين محمد دالي، قسم التاريخ. جامعة الملايا. وكانت ورقته بعنوان: شاه ولي الله في إطار حركات التجديد الإسلامية في الهند. وتضمنت هذه الورقة عرضاً تاريخياً لحركات التجديد والإصلاح في شبه القارة الهندية. وأكدت أن هذه الحركات في مجملها قد تأثرت بتعاليم مجدد الألفية الثانية الشيخ أحمد سرهندي - رحمه الله - الذي كان ينادي بإصلاح المجتمع المسلم وفق ثوابت الكتاب والسنة، ويدعو إلى ضبط التصوف فكرا وممارسة حسب منهجية القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة. وأكد الأستاذ دالي أن شاه ولي الله - رحمه الله - قد

استأنس بتعاليم الشيخ أحمد سرهندي - رحمه الله - ومكن لها في إطار حركته التي كانت تنادي بالإصلاح الداخلي وفق ثوابت الشرع والتصوف الموصول بطريق السلف، وتحرض أهل الهند على مجاهدة الاستعمار البريطاني وأعدائه في الهند. ثم بين الأستاذ دالي إلى أي مدى تفاعل المجتمع الهندي مع تعاليم شاه ولي الله - رحمه الله - وبرامجه الإصلاحية. ووضح كيف أثر شاه ولي الله - رحمه الله - فكريا في برامج الحركات التي ظهرت في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين مثل حركة سيد أحمد بريلوي في بالاكوت (مدينة في باكستان الحالية) وتيتو مير في البنغال (بنجلاديش الحالية). أما فيما يختص بتأثير تعاليم شاه ولي الله - رحمه الله - خارج الهند فتتوافق آراء الأستاذ دالي مع ورقة الأستاذ نيك عبد العزيز بن حاج حسن (انظر ملخص الجلسة الأولى).

وأخيراً. اختتمت الندوة أعمالها بكلمة للسيد الدكتور بدري نجيب زبير، نائب العميد للشؤون الأكاديمية. ثمن فيها أهمية الدور الذي لعبه شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - في تطوير الفكر الإسلامي والإصلاح الاجتماعي. وأكد أن الندوة من حيث الموضوع والمشاركة الأكاديمية قد صبت في معين الهدف الذي انعقدت من أجله.
